لمحاتٌ في إعجاز سورة الأنفال

بقلم

الدّكتور حسن محمّد باجودة

أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة

وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة

جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين ، سيّدنا محمّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه الدّراسة بعنوان: " لمحاتٌ في إعجاز سورة الأنفال " مستلّةٌ من دراسةٍ للسّورة الكريمة في أكثر من مائتين وستّين صفحة بعنوان :" تأمّلاتٌ في سورة الأنفال " وتهدف هذه الدّراسة إلى إلقاء الضّوء على بعض المسائل المتعلّقة بالسّورة الكريمة، وعلى بعض مظاهر إعجازها، مع ضرب بعض الأمثلة. وبناءً على ذلك فإنّ هذه الدّراسة تتألّف من شقّين اثنين، أحدهما بعنوان: مسائل متعلّقة بسورة الأنفال، وآخرهما بعنوان: من مظاهر إعجاز سورة الأنفال.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم جلّ وعلا، وأن يتقبّله، وأن ينفع به، إنّه عزّ وجلّ جوادٌ كريم.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة

صبيحة يوم الاثنين ١٤١٦/٢/٢٦هـ

الموافق ١٩٩٥/٧/٢٤م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د . حسن محمّد باجودة

أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة

وعميد كلّيّة اللّغة العربيّة

جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

مسائل متعلّقة بسورة الأنفال:

١) سورة الأنفال من المدنيّ من القرآن الّذي نزل على المصطفى ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة المنوّرة. جاء في الإتقان [١]: " ثمّ أنزل بالمدينة سورة البقرة، ثمّ الأنفال " وذلك معناه أنّ سورة الأنفال ثاني سور القرآن الكريم نزولاً بعد الهجرة.

٢) عدد آيات سورة الأنفال خمسٌ وسبعون آية. وعدد كلماتها ١٢٣١ ألفٌ ومائتان وإحدى وثلاثون كلمة. وعدد حروفها ٥٢٩٤ خمسة آلاف ومائتان وأربعةٌ وتسعون حرفاً[٢] .

٣) نزلت سورة الأنفال بعد غزوة بدر الّتي كانت يوم الجمعة السّابِعَ عَشَرَ من شهر رمضان في السّنة الثّانية من الهجرة[٣] وموضوعها الجهاد في سبيل الله تعالى، فهي بمثابة النّشيد الحربيّ، ويقرؤها القرّاء على المجاهدين بأكثر من سائر سور القرآن الكريم الأخرى في الحثّ على الجهاد في سبيل الله تعالى. وبدرٌ مكانٌ بين مكّة والمدينة، وهو إلى المدينة المنوّرة أقرب، إذ يبعد عنها بزهاء مائةٍ وخمسين كيلو متراً، عُرِف ببئر ماءٍ منسوبةٍ إلى رجلٍ حفرها يُسَمَّى بدرا [٤] .

٤) جاء في سورة آل عمران [٥] قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّة فاتّقوا الله لعلّكم تشكرون ﴾ وإنّما كان المؤمنون بنصّ الآية الكريمة أذلّةً بسبب قلّة عَدَدِهم وعُدَّتِهم بالقياس إلى الكافرين، فقد كانوا ثلاثَمائةٍ وثلاثَةَ عَشَرَ رجلاً، فيهم فارسان وسبعون بعيراً، والباقون مشاةٌ ليس

---

[١] ١/٤٣.

[٢] تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنّيسابوري مطبوع بهامش تفسير الطّبري. بولاق ١٣٢٧هـ ٩/١٠٦.

[٣] تفسير ابن كثير ١/٤٠٠.

[٤] تفسير ابن كثير ١/٤٠١.

[٥] الآية١٢٣.

معهم من العُدَدِ جميعُ مايحتاجون إليه. وكان العدوّ يومئذٍ مابين التّسعِمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبَيْض [1] والعدّةِ الكاملة والخيولِ المسوّمة والحَلْيِ الزّائد [2] .

٥) كان الإمداد أوّل الأمر في بدرٍ بألفٍ من الملائكة متتابعين يَرْدُفُ بعضُهُمْ بعضاً، ثمّ ارتفع العدد إلى ثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين، وإلى خمسةِ آلافٍ من الملائكة مسوِّمين ومعلَمين، عليهم سيماهم وعلامتهم. جاء في سورة الأنفال [3] قولُ الحقّ جلّ وعلا: ﴿ إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي مُمِدُّكم بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين ﴾ وجاء في سورة آل عمران [4] قولُ الحقّ جلّ وعلا: ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربّكم بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين. بلى إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمْدِدْكمْ ربّكم بخمسة آلافٍ من الملائكة مسوِّمين ﴾.

٦) نصّت سورة الأنفال الكريمة على خمسة نعوتٍ للمؤمنين وخمسة نعوتٍ أو شروطٍ أساسيّة للنّصر بإذن الله تعالى. جاء في نعوت المؤمنين قولُ الحقّ جلّ وعلا [5]: ﴿ إنّما المؤمنون الّذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبُهُمْ وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُهُ زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون. الّذين يقيمون الصّلاة ومّما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقّا. لهم درجاتٌ عند ربّهم ومغفرةٌ

---

[1] البَيْض جمع البيضة وهي الخُوذة من الحديد لوقاية الرّأس في الحرب. والخُوذَة بضمّ الخاء.

[2] تفسير ابن كثير ٤٠٠/١ وانظر – مثلاً – فتح الباري ٢٩١/٧ و ٢٩٢ وصحيح مسلم ٨٤/١٢ والسّيرة النّبويّة ٦١٧/١ وتفسير ابن كثير ٢٨٧/٢.

[3] الآية ٩.

[4] الآية ١٢٤ و١٢٥.

[5] سورة الأنفال ٢–٤.

ورزقٌ كريم ﴾ وجاء النّصّ على الشروط الخمسة للنّصر في قول الحقّ جلّ وعلا [1] : ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتَذْهَبَ ريحكم واصبروا. إنّ الله مع الصّابرين ﴾ وقد جاء الإيماء إلى شرطي صلاح النّيّة والعمل في الآية الكريمة التّالية. قال تعالى[2] : ﴿ ولا تكونوا كالّذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء النّاس ويصدّون عن سبيل الله . والله بما يعملون محيط ﴾.

٧) ثمّة نوعٌ من وجه شبهٍ بين الآية الكريمة الثّالثَةَ عَشْرَةَ من سورة الأنفال والآية الكريمة الرّابعة من سورة الحشر أو سورةِ بني النّضير، وثمّة فكّ التّضعيف أو التّشديد من جملة: ﴿ يشاقق ﴾ في آية سورة الأنفال. وثمّة التّضعيف أو التّشديد من جملة ﴿ يشاقّ ﴾ في آية سورة الحشر. قال عزّ من قائل [3] :﴿ ذلك بأنّهم شاقّوا الله ورسوله . ومن يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب﴾وقال عزّ من قائل [4]:﴿ ذلك بأنّهم شاقّوا الله ورسوله . ومن يشاقّ الله فإنّ الله شديد العقاب﴾ ومن البيّن أنّ الاختلاف بين الآيتين الكريمتين ينحصر في القولين:﴿ ومن يشاقق الله ورسوله﴾:﴿ ومن يشاقّ الله ﴾ ويصحّ القول بشأن الاختلاف في الموضعين، والله تعالى أعلم، إنّ فكّ التّضعيف في القول من آية سورة الأنفال :﴿ ومن يشاقق ﴾ الّذي ظهر معه

---

[1] سورة الأنفال ٤٥و٤٦.

[2] سورة الأنفال ٤٧.

[3] سورة الأنفال ١٣.

[4] سورة الحشر٤.

الحرفان معاً، يتمشّى معه الجمع بين لفظ الجلالة وبين لفظ الرّسول في القول:﴿ ومن يشاقق الله ورسوله﴾ وإنّ إدغام الحرفين في القول من آية سورة الحشر :﴿ومن يشاقّ﴾ وكأنّ الحرفين حرفٌ واحد، يتمشّى معه الاكتفاء بلفظ الجلالة وحده في القول:﴿ومن يشاقّ الله﴾.

٨) بين يدي شروط النّصر بإذن الله تعالى الخمسةِ أو السّبعة، على المؤمنين أن يُعِدُّوا ما استطاعوا من قوّة من أجل إحدى الحسنيين بإذن الله تعالى، النّصرِ أو الشّهادة، ومن مقوّمات القوّة في القديم رِباطُ الخيل.قال عزّ من قائل [١] :﴿ وأعدّوا لهم مااستطعتم من قوّةٍ ومن رِباط لخيل ترهبون به عدوَّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لاتعلمونَهُمُ اللهُ يعلمهم. وماتنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لاتُظْلَمون﴾ وإنّ في النّصّ على رباط الخيل بعد اندراجه تحت القوّة المطلقة المنصوص عليها قَبْلَ ذلك حثّاً لنا على محاولة الوقوف على الحكمة من ذكر الخيل على جهة الخصوص. ومعنى رِباطِ الخيل مرابطةُ الخيل عليها فرسانُها الملازمون للثّغور. ونحن حينما نتأمّل الخيل ونفكّر في الحكمة من خصوص ذكرها بعد اندراجها في العموم يصحّ أن نقول – والله تعالى أعلم – إنّ أهمّ ماتتميّز به الخيل السّرعة، فهي في القديم بمثابة الجَناحين اللّذين يتمّ الطّيران بهما. وبتغيّر الأحوال تعني القوّةُ كلَّ أنواع الأسلحة الّتي ينبغي على المسلمين أن يُتْقِنوا صُنْعَهَا واستعمالها. وتعني الخيلُ السّريعةُ بطبعها أنّ على المسلمين أن

[١] سورة الأنفال ٦٠.

يُعْنَوْا بدرجةٍ أكبر بالأسلحة الّتي تتّسم بسرعة الحركة من طائراتٍ وصواريخَ ودبّاباتٍ وغوّاصات. وما إلى ذلك.

٩) حينما ننظر إلى أوّل شروط النّصر الخمسة بإذن الله تعالى وإلى آخرها فإنّا نتبيّن أنّهما الثّبات والصّبر. ونستطيع أن نفهم بداهةً أنّ الصَّبر هو العمود الفِقَريّ لكلّ الشّروط الأُخَر، وأنّ الثّباتَ يتعلّق بأوّل المعركة وأنّ الصّبر يتعلّق – هنا– بآخرِ المعركة على جهة الخصوص. وما معنى الثّبات والصّبر؟ الإقبال في ميدان المعركة لا الإدبار. وإلى النّهي عن الإدبار أشارت الآيةُ الكريمةُ الخامسةَ عشرة. وإلى غضبِ الله تعالى الشّديد في الأولى والآخرة على من يولّي أعداءَ الله تعالى دُبُرَه في القتال أشارت الآية الكريمة السّادسةَ عشرة. وقد أَذِنَتِ الآيةُ الكريمةُ السّادسةَ عشرةَ للمجاهد في سبيل الله تعالى أن يولّي المشركين دبره بنيّةِ الإقبال على أعداء الله تعالى من موقعٍ آخَرَ في القتال أنكى للعدوّ وذلك في مناسبتين اثنتين لا ثالث لهما. إنّ الأساس هو الثّبات. وإنّ الاستثناء هو التّحوّل في مناسبتين اثنتين من موقعٍ في القتال إلى موقعٍ آخَرَ أفضل. وكيف جاء التّعبيرُ عن هذا العملِ الاستثنائيِّ أو المعترض، خلافاً للأساس أو القاعدة؟ جاء التّعبير في جملةٍ معترضة، وبذلك يكون هنالك تجانسٌ بين الجملة المعترضة وبين العمل الاستثنائيّ المعترض. قال عزّ من قائل[1]:﴿ يأيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً فلاتولّوهم الأدبار. ومن يولّهم يومئذٍ دبره إلّا متحرّفاً لقتالٍ أو متحيّزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير﴾ ومن معاني الانحرافِ للقتال بادّعاء الهرب الرّغبةُ في استدراج الأعداء إلى كمينٍ – مثلاً – أو إخراجِهِمْ من مواقعهم الحصينة وما إلى

---

[1] سورة الأنفال ١٥و١٦.

ذلك. ومعنى الانحياز إلى فئةٍ الانضمامُ إلى فئةٍ أخرى مؤمنةٍ مِنْ أجل تكثير سوادها– مثلاً–.

١٠) نصّت الآية الكريمة الخامسةَ عشرةَ على عمليّة الزّحف في القتال. قال عزّ من قائل:﴿ ياأيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً فلاتولّوهم الأدبار﴾ وقد كان العرب قبل نزول سورة الأنفال يلجأون في القتال إلى أسلوب الكرّ والفرّ، الإقبالِ والإدبار، الضّربِ والهَرَب. ولمّا كان الزّحف بالجيش أو بالخميس أنكى في العدوّ فإنّ الآية الكريمة ترشد المجاهدين في سبيل الله تعالى إلى هذا الأسلوب القتالي الأَجْدى والأَنكَى. والمعروف أنّ المؤمنين بعد نزول سورة الأنفال أصبحوا يَزْحَفون في القتال بالجيش امتثالاً لهذا الأمر السّماوي.

١١) في الآيات الكريمات من العشرين إلى التّاسعة والعشرين تجيء مجموعةٌ من نعوتِ المؤمنين وصفاتِ الكافرين ومجموعةٌ من التّوجيهات للمؤمنين. وفي هذه الآيات الكريمات جاء النّداء:﴿ ياأيّها الّذين آمنوا﴾ أَرْبَعَ مرّاتٍ في نسقٍ بديع. لقد ابتدأت الآية الكريمة الأولى بهذا النّداء. وبعد ثلاث آياتٍ كريماتٍ يأتي النّداء للمرّة الثّانية. وبعد آيتين كريمتين أخريين يأتي النّداء للمرّة الثّالثة. وبعد آيةٍ كريمةٍ واحدةٍ أخرى يأتي النّداء للمرة الرّابعة والأخيرة. وهذه هي الآيات الأربع الكريمات الّتي تبدأ بنداء المؤمنين. قال تعالى[١]:﴿ ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولّوا عنه وأنتم تسمعون ﴾ وقال تعالى[٢]:﴿ ياأيّها الّذين آمنوا استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أنّ الله يحول

---

[١] سورة الأنفال ٢٠.

[٢] سورة الأنفال ٢٤.

بين المرء وقلبه وأنّه إليه تُحْشرون﴾وقال تعالى[٣]:﴿ يأيّها الّذين آمنوا لاتخونوا الله والرّسول وتخونوا أماناتِكُمْ وأنتم تعلمون﴾ وقال تعالى[١]:﴿ يأيّها الّذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فُرْقاناً ويكفّر عنكم سيّئاتكم ويغفر لكم. والله ذو الفضل العظيم﴾.

[٣] سورة الأنفال٢٧.

[١] سورة الأنفال٢٩.

من مظاهر إعجاز سورة الأنفال:

١- اختلاف التّعبير عن النّصر على الفور عن التّعبير عنه على التّراخي

من المعروف أنّ غزوة بدر الّتي انتصر فيها المسلمون كانت في يوم الجمعة السّابعَ عَشَرَ من شهر رمضان في السّنة الثّانية من الهجرة، وأنّ غزوة أُحُد الّتي انهزم فيها المسلمون كانت في يوم السّبت الخامِسَ عَشَرَ من شهر شوّال سنة ثلاثٍ من الهجرة، وعلى رأس أحدٍ وثلاثين شهراً من الهجرة[١] ولمّا كان المسلمون في بدرٍ قلّةً وأذلّة، ولمّا كانت إحدى الطّائفتين الّتي وَعَدَ الله تعالى بها حبيبه المصطفى ﷺ والمؤمنين وهما القافلة والعير، أو القتال والنّفير، لمّا كانت إحدى الطّائفتين قد فاتتهم وهي العير فقد تأكّد النّفير. وهنا صدق طلب المؤمنين القليلي العَدَد والعُدَّة الغوثَ من الله تعالى. وقد أشارت سورةُ الأنفال الّتي تتحدّث عن غزوة بدرٍ وسورةُ آل عمران الّتي تتحدّث عن غزوة أحد إلى استغاثة المؤمنين ربَّهم جلَّ وعلا. إنّ حديث سورة الأنفال عن الاستغاثة بعد غزوة بدرٍ الّتي انتصروا فيها، وإنّ حديث سورة آل عمران عن الاستغاثة بعد غزوة أُحُدٍ الّتي انهزموا فيها. وكأنّ الحديث في سورة الأنفال جاء في معرض الحثّ على الشّكر، وكأنّ الحديث في سورة آل عمران جاء في معرض الحثّ على الشّكر مع الصّبر. والمعروف أنّ الإيمان شطران، شطرٌ صبرٌ وشطرٌ شكر. لكلّ ذلك نحن نودّ أن نقف على بعض مظاهر الإعجاز في حديث كلٍّ من السّورتين الكريمتين عن الاستغاثةِ واستجابةِ الربّ الكريم جلّ وعلا للمصطفى ﷺ وللمؤمنين في يوم بدرٍ يوم الفرقان، أولى المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام، الّتي كان النّصر فيها للمؤمنين بإذن الله تعالى. جاء في سورةِ الأنفالِ[٢] السّابقةِ نزولاً قولُ الحقّ جلّ وعلا:﴿ إذ تستغيثون ربّكم

---

[١] انظر السّيرة النّبويّة لابن هشام٣/١٠٦وتفسير ابن عطيّة٣/٢٩٦و٢٩٧.

[٢] الآية٩و١٠.

فاستجاب لكم أنّي ممدّكم بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين. وماجعله الله إلا بُشْرَى ولتطمئنّ به قلوبكم. وما النّصر إلّا من عند الله. إنّ الله عزيزٌ حكيم ﴾ ويصحّ أن تكون إذ في القول:﴿ إذ تستغيثون ربّكم ﴾ متعلّقةً بالقول في الآية الكريمة السّابقة :﴿ ويُبْطِلَ الباطل﴾ وبذلك يكون المعنى–والله تعالى أعلم– ويبطلَ الله تعالى الباطل إذ تطلبون الغوث من ربّكم جلّ وعلا فأجاب دعاءكم بأنّي ممدّكم بألفٍ من الملائكة متتابعين يردف بعضهم بَعْضاً. وما جعل الله تعالى الإمداد بالملائكة إلّا بشارةً ولتطمئنّ به قلوبكم وتهدأ، وما النّصر إلّا من عند الله تعالى. إنّ الله تعالى عزيزٌ في ملكه حكيمٌ في صنعه.

وجاء في سورة آل عمران[1] المتأخّرة نزولاً عن سورة الأنفال قولُ الحقّ جلّ وعلا: ﴿ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّةٌ فاتّقوا الله لعلّكم تشكرون. إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يُمدّكم ربّكم بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين. بلى إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم بخمسة آلافٍ من الملائكة مسوِّمين. وماجعله الله إلّا بُشْرَى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به. وماالنّصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم﴾ والمعنى – والله تعالى أعلم – ولقد نصركم الله تعالى أيّها المؤمنون المنهزمون في أُحُد، ولقد نصركم الله تعالى ببدرٍ وأنتم أذلّةٌ بسبب قلّة عَدَدكم وعُدَدكم بالقياس إلى المشركين. فاتّقوا الله تعالى بالصّبر وبذكر العون من الله تعالى والنّصر لعلّكم تشكرون لله تعالى نعمه العظيمة وآلاءه الجسيمة عليكم. إذ تقول أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم للمؤمنين إذ تستغيثون أيّها المؤمنون ربّكم جلّ وعلا: ألن يكفيكم أيّها المؤمنون أن يمدّكم ربّكم جلّ وعلا وأنتم مع الأعداء وجهاً لوجهٍ بثلاثة آلافٍ من الملائكة مُنْزَلين من السّماوات العُلى. وبذلك ارتفع الإمداد من ألفٍ من الملائكة كما جاء في سورة الأنفال إلى ثلاثة آلاف. والآية الكريمة التّالية تقرّر أنّه يكفي المؤمنين ذلك الإمداد بالثّلاثة الآلاف من الملائكة لتحقيق النّصر بإذن الله تعالى. وإنّ فضل الله تعالى الّذي ليس له حدود يرفع الإمداد إلى خمسة آلافٍ من الملائكة. وهاهي ذي

---

[1] الآيات ١٢٣–١٢٦.

الآية الكريمة تقول للمؤمنين إن تصبروا في ميدان القتال، وتتّقوا الله تعالى، ويأتكم المشركون على الفور وفي الحال يمددْكُمْ ربّكم جلّ وعلا بخمسة آلافٍ من الملائكة مُعْلَمين. عن هشام بن عروة قال: نزلت الملائكة يوم بدرٍ على خيلٍ بلق[1] عليهم عمائم صفر. وكان على الزّبير يومئذٍ عِمامةٌ صفراء[2] .

وماجعل الله تعالى ذلك الإمداد إلّا بشارةً لكم أيها المؤمنون بالنّصر، ولتطمئنّ قلوبكم به وتسكن. ومانّصر إلّا من عند الله تعالى العزيز في ملكه الحكيم في صنعه.

ويصحّ أن تكون المقارنة بين التّعبير في السّورتين الكريمتين في المواضع التّالية.

في سورة الأنفال جاء القول:﴿ وماجعله الله إلّا بُشْرى﴾ وفي سورة آل عمران جاء القول:﴿وماجعله الله إلّا بشرى لكم﴾ .

في سورة الأنفال جاء القول:﴿وماجعله الله إلّا بُشْرى ولتطئمنّ به قلوبكم﴾ وذلك بتقديم الجار والمجرور:﴿به﴾ على :﴿قلوبكم﴾ وفي سورة آل عمران جاء القول:﴿وماجعله الله إلّا بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به﴾وذلك بتأخير الجارّ والمجرور في الموضعين:﴿لكم﴾ و:﴿به﴾.

في سورة الأنفال جاء القول:﴿ ومانّصر إلّا من عند الله. إنّ الله عزيزٌ حكيم﴾ وفي سورة آل عمران جاء القول:﴿ومانّصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم﴾ ومن الواضح التّأكيدُ في آية سورة الأنفال وعدمُ التّأكيد في آية سورة آل عمران.

وبين يدي تبيين الحكمة من وجود الفروق في التّعبير عن المعنى الواحد في الموضعين نودّ أن نذكّر بأنّ سورة الأنفال نزلت بعد غزوة بدرٍ مباشرة، في حين نزلت سورة آل عمران بعد غزوة أحد. وكأنّ سورة الأنفال تتحدّث عن النّصر على الفور وكأنّ سورة آل عمران تتحدّث عن النّصر على التّراخي.

فإذا تحوّلنا إلى محاولة تبيين الحكمة من الاختلاف بين التّعبيرين في الموضع الأوّل فإنّا يصح أن نقول بشأن ذكر البشرى مطلقةً في سورة الأنفال:﴿ وماجعله الله إلا بشرى﴾ إنّ إطلاق البشرى هنا لأنّ الحديث مقصورٌ على المؤمنين في الآيات

---

[1] بُلْق جمع أَبْلَق وهو ماكان في لونه سوادٌ وبياض.

[2] تفسير الطّبري٤/٥٤.

الكريمات ففي إطلاق البُشْرَى انصرافٌ لها إلى المؤمنين وَحْدَهم. فإذا تحوّلنا إلى سورة آل عمران تبيّناً أنّ الحديث في الآيات الكريمات يشمل كلاً من المؤمنين والكافرين معاً وذلك في مثل هذا القول في الآية الكريمة السّابقة:﴿بَلَى إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم من فورهم هذا﴾ ثمّ إنّ البُشْرى الّتي تأخّر بعدها الجارّ والمجرور في القول:﴿ وماجعله الله إلّا بشرى لكم﴾ جاء في القول المترتّب عليه الجارّ والمجرور متأخّراً كذلك. قال تعالى:﴿ ولتطمئنّ قلوبكم به﴾.

وإنّ تأخير الجارّ والمجرور في الموضعين هنا من سورة آل عمران يقتضينا الحديث عن تقديم الجارّ والمجرور في آية سورة الأنفال وذلك في القول:﴿ وماجعله الله إلّا بُشْرَى ولتطمئنّ به قلوبكم﴾ عرفنا أنّ سورة الأنفال تتحدّث عن غزوة بدرٍ على الفور. ودليلاً على حاجة المؤمنين الملحّة للاطمئنان في تلك الظّروف الحرجة يأتي الضّمير العائد على الإمداد في الجارّ والمجرور قبل ذكر القلوب تنبيهاً على شدّة تلهّف المؤمنين على ذلك الاطمئنان للقلوب والحاجة الملحّة لذلك الإمداد. وكما تمشّى قُرْبُ الجارِّ والمجرور مِنْ متعلَّقه مع الزَّمن القريب من وقوع الحدث في آية سورة الأنفال في قول الحقّ جلّ وعلا:﴿ولتطمئنّ به قلوبكم﴾تمشّى بُعْدُ الجارّ والمجرور من متعلَّقه مع الزّمن البعيد من وقوع الحدث في آية سورة آل عمران، ليس في موضعٍ واحدٍ فقط وإنّما في موضعين اثنين في قول الحقّ جلّ وعلا :﴿وماجعله الله إلّا بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به﴾.

ويبدو أنّ الحكمة من مجيء التّوكيد في التّذييل من آية سورة الأنفال أقربُ تناولاً وأشدُّ وضوحاً لأنّ الحديث هنا عن النّصر الّذي قرب العهد بتحقّقه. قال عزّ من قائل:﴿ومانّصر إلّا من عند الله. إنّ الله عزيزٌ حكيم﴾وإنّما لم يجيء التّوكيد في التّذييل مِنْ آية سورة آل عمران لأنّ الحديث هنا عن النّصر الّذي مضى عليه أكثرُ من عام، والّذي كادت هزيمة أُحُد تحمل المؤمنين على نسيانه. قال عزّ من قائل:﴿ ومانّصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم﴾.

وهكذا تتبيّن الحكمة من الفروق بين التّعبيرين عن المعنى الواحد حال الحديث عن النّصر وملابساته على الفور في سورة الأنفال، وعلى التّراخي في سورة آل عمران. إنّ على المسلمين الّذين آلمتهم هزيمة أحد أشدّ الإيلام أن يصبروا وألّا تُنْسيهم الهزيمة الشّكر لله تعالى على نصرهم في بدرٍ وهم القلّة والأذلّة. إنّ عليهم أن يصبروا على ما أصابهم في أُحُد، وأن يشكروا لله تعالى نصره لهم في بدر. إنّ الإيمان شطران، شطرٌ صبرٌ وشطرٌ شكر. وهكذا عَبَّر الحديث عن النَّصر في الموضعين عن خلجات النّفوس على الفور وعلى التّراخي. والله تعالى أعلم.

٢- الحكمة من الأمر بضرب الكافرين فوقَ الأعناق وكلَّ بنان

أَمَرَتِ الآية الكريمة الثّانيةَ عَشْرَةَ المؤمنين بأن يضربوا مِنْ أعداء الله تعالى فوقَ الأعناق وأن يضربوا منهم كلَّ بنان. والبنان جمع بنانة وهي أطراف أصابع اليدين والرّجلين. والمعنى: واضربوا أيّها المؤمنون من عدوّكم كلّ طرف ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم[١] قال عزّ من قائل[٢]:﴿إذ يوحى ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا. سَأُلْقى في قلوب الّذين كفروا الرُّعْبَ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلَّ بنان﴾ ومعروفٌ أنّ الضّرب في القتال إنّما يكون بالسّيف. وإنّ الضّرب بالسّيف آخِرُ المراحل الّتي ينتهي إليها القتالُ بالسّلاح بين الخصمين، فليس وراء التحام الخصمين وتعذّرِ استعمال السّيفين سوى الصّراعِ المباشر بالأيدي بين يدي طرح أحد الخصمين عدوَّه أرضاً وحزِّ رَأْسِه حزّاً. وإذا كان الضّربُ بالسّيف دليلَ القرب الشّديد من الخصم بحيث يتمكّن أحد الخصمين من الآخر، ومن هنا قيل مامعناه: من انكسر سيفه ثكلته أمّه، فإنّ ثمّة نوعين من السّلاح يصحّ استعمالها عن بُعْد، وهما الرّماح والنّبال بمعنى السّهام. إنّ الطّعن بالرّمح يمثّل المرحلة السّابقة على الضّرب بالسّيف من ناحية القربِ من الخصم والتّمكّن. ومن هنا قيل عن الرّمح مامعناه: إنّ الرّمح أخوك وربّما خانك. والمعنى أنّ الرّمح في الحرب بمنزلة الأخ وربّما خان بانكساره. وتلك آفة الرّمح. وإنّ الرّمي بالنّبال أو بالسّهام يمثّل المرحلة السّابقة على الطّعن بالرّمح من ناحيةِ القربِ من الخصم والتّمكّن. ومن هنا قيل عن النّبال مامعناه: إنّ النّبال بمثابة المنايا الطّائشة الّتي تُخْطِئُ وتُصيب. وهكذا يتأكّد أنّ الضّرب بالسّيف الّذي نصّت عليه الآية الكريمة يمثّل أقوى صور التّمكّن من العدوّ وأشدَّ مراحلِ القرب منه. وإلى هذه المراحل الأربع في القتال أشار زهيرُ بنُ أبي سُلْمى يمدح هَرِمَ بنَ سنان يقول[٣] .

---

[١] تفسير الطّبري٩/١٣٢.

[٢] سورة الأنفال١٢.

[٣] مختار الشّعر الجاهلي١/٢٥٠.

يطعـنهم مـا ارْتَمَـوْا حتّـى إذا اطّعنـوا ضـارَبَ حتّـى إذا مـا ضـاربوا اعتنقـا

إنّ أعداء هرم بن سنان إذا ارتموا بالنّبال من بعيد طاعنهم بالرّمح فأرغمهم على التّطاعن بالرّماح الّتي تفرض عليهم أن يقتربوا منه . فإذا تطاعنوا بالرّماح ضاربهم بسيفه فأرغمهم على التّضارب بالسّيوف الّتي تفرض عليهم أن يقتربوا منه أكثر. وفي هذه الحال ولِشِدَّةِ إقبال هَرِم على عدوّه والالتحام به يتعطّلُ السّيف فيلجأُ إلى آخر المراحل وهي اعتناق الخصم والضّرب به أرضاً وحزّ عنقه حزّاً بالسّيف ومافي حكمه.

ومن البيّن أنّ القول في الآية الكريمة:﴿ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان﴾ يراد منه إطارةُ رءوسِ الكافرين وقطعُ أطرافهم بحيث لايتمكنون مستقبلاً من معاودة القتال. فهل ثَمَّةَ مِنْ حكمةٍ وراء اختيار الأعناق والأطراف دليلَ قتلِهِمْ وشلِّ حركتهم؟

يصحّ أن نتبيّن الحكمة من اختيار ضرب الأعناق والأطراف حينما نتبيّن موقع الأعناق ورءوسِ الأنامل في المقام الأوّل من الدّرع. من المعروف أنّ المقاتل يستعمل بإحدى يديه آلةَ الضّرب أو الطّعن أو الرّمي، وبأخرى يديه آلةَ الدّفاع من درقةٍ أو تُرْس، وأنّه يضع على رأسه البيضة من الحديد أو الخُوذة، وأنّه يلبس الدِّرعَ المنسوجة من الحديد، وقد يكون نسجها حَلْقَتين حَلْقَتين، وتلك الدّرع تُسمَّى الموضونة. ومن الشّعراء الّذين أشاروا – على سبيل المثال – إلى بعض أدوات القتال أبوقيس صَيْفِيُّ بنُ الأَسْلَتْ الأَوسيّ الجاهليّ. وممّا قال[1]

قـد حصَّـتِ البيضـة رأسـى فمـا أَطْعَـمُ غُمْضـاً غيـر تَهْجـاعِ
أعـددت للأعـداء موضـونةً فَضفاضَـةً كـالنّهي بالقـاع
أحفزهـا عنّـى بـذي رونـقٍ مهنَّـدٍ كـالمِلْح قطّـاع
صَـدْقٍ حُسـامٍ وادقٍ حَـدُّهُ ومُجْنـأٍ أَسْـمَرَ قـرّاع
بَـزُّ امـرئٍ مستبسِـلٍ حـاذرٍ للـدَّهْر جَلْـدٍ غَيْـرِ مِجْـزاع

[1] ديوان أبي قيس صيفيّ بن الأسلت الأوسيّ الجاهليّ٧٨و٧٩.

الحَـــزْمُ والقـــوّةُ خيـــرٌ مـــن ألـــ ـــــإدهان والفَكَّـــــة والهـــــاع

يقول الشاعر: قد حصَّت البيضة رأسي وحَلَقتِ الخُوذة شَعَرَ رأسي لطول الملازمة لسلاحي، وأنا قائد قومِي في حرب بُعاثٍ ضدّ الخزرج فما أطعم غُمْضاً ولا أذوق نوماً غير التَّهْجاع وهو النّوم الخفيف المتقطّع. وقد أعدّ الشّاعر للأعداء دِرْعاً موضونةً منسوجةً حَلْقتين حَلْقتين كيلا تخترقَها النّبال والرّماح وتقطَعَها السّيوف. وهي دِرْعٌ فَضفاضةٌ واسعةٌ كي تَسْهُلَ معها حركتي في أثناء المشي وفي أثناء الطّعن والضّرب. وبسبب صفاء حديدها لشدّة تعهّدي لها هي شديدة اللّمعان فكأنّها ماءُ النِّهي بالقاع، أو ماءُ الغدير الّذي غادره السّيل في الأرض المستوية، بعد أن نهاه حاجزٌ عن أن يفيض، فكان الغايةَ في الصّفاءِ والقدرةِ على اللّمعان بسبب ضوء الشّمس، ولأدنى حركةٍ للماء بفعل النّسيم أو الرّياح. وهذه الدّرع أحفزها عنّي وأدفعها وأرفعها بغِمْد سيفي الّذي فيه خُطّافٌ حينما تكونُ ثقيلةً عليّ فأخفّفُ عنّي ثِقْلَها برفعها من أسفلها المهيّأ لذلك بواسطة خُطّافِ الغِمد أو كُلاّبه. وكما أدفع الدّرع بسيفي أدفع كتيبة الأعداء. وهذا السّيف ذو رونقٍ وهو ماءُ السّيف لشدّة صفائه، ومصنوعٌ في الهند، وأبيضُ كالملح، وقطّاع، وصَدْقٌ صادقٌ صُلْب، وحسامٌ يقطع الضّريبة ويمشي فيها، ووادِقٌ حدُّه وماض. وكما أدفع الكتيبة بالسّيف الّتي تلك صفاته أدفعها بمُجْنأٍ أَسْمَرَ قرّاع، وبِتُرْسٍ مصنوعٍ من جلود الإبل فهو أسمر اللّون، وهو صُلْبٌ وقويٌّ أقارع به سيوفَ الأعداء ورماحَهم ونبالَهم حينما يَضْرِبونني ويرمونني بها.

إنّ هذا السّلاح بَزُّ امرئٍ مستبسلٍ حاذرٍ يقظ، ولباسُ رجلٍ موطّنٍ نفسه للموت محنّكٍ وغير غِرٍّ وغَيْرِ غُفْلٍ من التّجارِب، لذا هو يحذر غدرَ الدّهر وتلوّنَ الأيّام، وهو جَلْدٌ يتحمّل المشاقّ، غَيْرُ مِجْزاع، فهو صبور. إنّ الحزم والقوّة خيرٌ من المداهنةِ وإظهارِ المرء خلافَ مايُضْمِر، ومن الفكّة بمعنى الاسترخاء في الرّأي، ومن الهاع بمعنى الضّعف مع سوء الحِرص.

من الاستعراض السّابق للأبيات يتبيّن أنّ الضّرب يكون بالسّيف، وأنّ البيضةَ الّتي توضَعُ على الرّأس أو الخُوذةَ منفصلةٌ عن الدّرع الّتي يرتديها المقاتل، وكأنّ الدّرع في الحرب الثّيابُ في السّلم. كما يتبيّن أنّ من سمات الدّرع أنّها فَضفاضةٌ واسعة، وطويلةٌ سابغة، فهي لطولها تُغَطّي أطراف الرّجلين وأطراف اليدين كذلك.

ولمّا كان المقاتل يحمل أداةَ القتال بإحدى يديه، وأداةَ الدّفاع بأخرى يديه، فذلك معناه أنّ أطرافَ اليدين أو البنانَ كما جاء في آية سورة الأنفال تكون مكشوفةً بالضّرورة في أثناء القتال على الرّغم من كون الدّرع سابغة. ولمّا كانت البيضةُ غَيْرَ الدّرع، فهما وسيلتان للقتال منفصلتان، فذلك معناه أنّ العنق يلتقي عنده كلٌّ من البيضة الّتي تغطّي الرّأس وجيب الدّرع من الجَوْب بمعنى القَطْع، وهو المكان من الدّرع–ومن الثّوب– الّذي يُدْخِلُ الفارسُ منه رأسه حينما يلبس الدّرع. وبسبب التقاء هاتين الوسيلتين للقتال عند العنق كان العنقُ مظنّةَ أن يناله سيف الضّارب، تماماً كما كان البنان، بمعنى أطراف الأصابع جمع بنانة، وكانت الأطراف، أطراف اليدين في المقام الأوّل، مظنّةَ أن ينالها سيفُ الضّارب كذلك.

وبعد هذه الجولةَ الواسعةِ مع أدوات القتال قديماً، والانتهاءِ إلى كون الرّقابِ وأطراف الأصابع من أشدّ أجزاء الجسم احتمالَ تَعَرُّضٍ للضّرب بالسّيف في ميدان القتال، يصحّ أن نكون قد تبيّنا الحكمة من أمر الآية الكريمة المجاهدين في سبيل الله الضّربَ بالسّيوف فوق أعناق الكافرين والضّربَ منهم كلَّ بنانٍ وطرف. والله تعالى أعلم. قال عزّ من قائل :﴿ إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا. سألقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان﴾.

٣- عملياتٌ حسابيّة تريح الّذهن وتبهج النّفس

من المعروف أنّ عِلْمَ الحساب أو العمليّاتِ الحسابيّةَ لكلّ منهما حظُّه الموفور من العقل، ولايكاد يكون لأيّ منهما نصيبٌ من العاطفة أو الجمال. وإنّ الأمر ينقلب رأساً على عقب حينما تجيء العمليّات الحسابيّة في القرآن الكريم الّذي يُرْضي كلَّ عقلٍ بفصوص حكمه وجليل معناه، ويشبع كلَّ نفسٍ بلذيذ نظمه وجميل مبناه. وإنّ من أقرب الأمثلة الّتي يقف متدبّرُ القرآن الكريم أمامَها مبهوراً في هذا الشّأن وهي الآياتِ الكريماتِ الثّلاثَ من سورة النّساء، المشتمِلةَ على علم المواريث، وهي الآياتُ الكريمات الحاديةَ عشرةَ، والثّانيةَ عشرةَ، والسّادسةُ والسّبعون بعد المائة. إنّ هذه الآياتِ الكريماتٍ الثّلاثَ المشتملةَ على أدقّ العمليّات الحسابيّة في علم المواريث يتحقّق فيها التّوازن العجيب، الّذي لايوجد بهذا القدر إلّا في القرآن الكريم،بين القدرة على إرضاء العقل وإشباع النّفس. ومن باب الأَحْرَى والأَوْلَى أن يتحقّق هذا التّوازن العجيب، في سائر القرآن الكريم حينما يكون الحديث في غير هذه المسائل العقليّة الحسابيّة. وإنّ في سورة الأنفال المدنيّة الكريمة آيتين كريمتين تشتملان على بعض المسائل الحسابيّة، وهما الغايةُ في القدرة على إقناع العقل بمعانيهما العميقة القريبة التّناول، وإشباعِ النّفس بمبانيهما العزيزة المنال، العديمة المثال. وهاتان هما الآيتان الكريمتان، قال عزّ من قائل[1] :﴿ ياأيّها النّبيّ حرّض المؤمنين على القتال. إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين. وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا بأنّهم قومٌ لايفقهون. الآن خفّف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضَعْفاً. فإن يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين. وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن الله. والله مع الصّابرين﴾.

---

[1] سورة الأنفال ٦٥و٦٦.

ومن البيّن أنّ الآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ المؤمن الواحد الصّابر يستطيع في فجر الإسلام أن يغلب بإذن الله تعالى عشرةً من الّذين كفروا في ميدان القتال. لأنّ الكافرين قومٌ لايفقهون. ومن البيّن كذلك أنّ الآية الكريمة الأخرى تقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى خفّف عن المجاهدين في سبيله جلّ وعلا الّذين عَلِمَ أنّ فيهم ضعفاً لم يكن موجوداً في المؤمنين قبل نزول سورة الأنفال، وقبل نزول هذه الآية الكريمة منها. إنّ المؤمن الواحد المجاهد في سبيل الله تعالى الصّابر يستطيع الآن أن يغلب بإذن الله تعالى اثنين من الّذين كفروا في ميدان القتال. وممّا لَفَتَ العلماءُ الانتباهَ إليه أنّ المجاهدين في سبيل الله تعالى قبل نزول سورة الأنفال إن كانوا قليلين في العَدد فإنّهم كثيرون بالصّبر، وأنّ المجاهدين في سبيل الله تعالى بعد نزول سورة الأنفال إن كانوا كثيرين في العَدَد فإنّهم بمقدار ما ازداد عَدَدُهم قلّ صبرهم، والدّليل على ذلك أنّ الواحدَ كان يغلب عشرة، والآن يغلب الواحدُ اثنين فقط بإذن الله تعالى. وممّا لفت العلماءُ الانتباه إليه كذلك أنّ عدد المؤمنين إن كان أقلَّ من نصف عدد الكافرين فإنّ من حقّ المؤمنين ألّا يقاتلوا وأن ينسحبوا من ميدان القتال. والله تعالى أعلم[1] ومن البيّن أنّ هذا الإذن للمؤمنين بالانسحاب من ميدان القتال إن كان عددُهم أقلَّ من نصف عدد الكافرين ذو عَلاقةٍ بهاتين الآيتين الكريمتين من هذه السّورة الكريمة. قال عزّ من قائل[2] :﴿ يأيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم الذّين كفروا زحفاً فلاتولوّهم الأدبار. ومن يولّهم يومئذٍ دبره إلّا متحرّفاً لقتالٍ أو متحيّزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنّمُ وبئس المصير﴾

ونودّ أن نشير في هيئة نقاط إلى مايصحّ أن يتبيّنه المتأمّل من مظاهر الإعجاز في نظم الآيتين الكريمتين المشتملتين على جانبٍ من جوانب علم الحساب.

---

[1] انظر –مثلاً– صحيح البخاري٦/٧٩وفتح الباري٨/٣١١و٣١٢حديث رقم ٤٦٥٢.

[2] سورة الأنفال١٥و١٦.

١- إنّ لظاهرة تلاؤم الأصوات النّاجمة عن تشابه مجموعةٍ من الألفاظ والجمل دورَه في المساعدة على حُسْن استقبال الأذن للمبنى، وحُسْن استقبال النّفس للمعنى،وأعنى هذه الألفاظ والجمل:﴿ المؤمنين ﴾: ﴿عشرون صابرون﴾ :﴿ مائتين﴾ :﴿لايفقهون﴾ :﴿ مائتين﴾ : ﴿ألفين﴾ : ﴿ مع الصّابرين﴾.

٢- من البيّن أنّ القول في الآية الكريمة الأولى :﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين.وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا﴾ معناه أنّ الواحد من المؤمنين في فجر الإسلام يستطيع أن يغلب بإذن الله تعالى عشرةً من الكافرين. أمّا الحكمة من قفز الرّقم واحد من مرتبة الآحاد والرّقم عشرة من مرتبة العشرات إلى الرّقم عشرين وإلى حاصل ضربه في نفسه عَشْرَ مرّات وهو الرّقم مائتان، فإنّها الّتي نصّ عليها قول الحقّ جلّ وعلا في سورة النّساء[١]:﴿ ياأيّها الّذين آمنوا خذوا حِذْرَكُمْ فانفِروا ثباتٍ أو انفِروا جميعاً ﴾ وثبات جمع ثُبة بمعنى جماعةٍ بعد جماعة متسلّحين، وفرقةٍ بعد فرقة، وسَرِيّةٍ بعد سَرِيّة[٢] إنّ الحكمة تقتضي ألّا يحارب المؤمن وحده جموع الكافرين، لأنّ الأنكى في العدوّ أن يحارِب المؤمنون جميعاً الكافرين، وأن يَنْفِرَ المؤمنون في هيئة سرايا وجماعات. إنّ في تجاوز الرّقمين المضمرين واحد وعشرة إلى العشرين فما بعدها إيماءً إلى هذه الحكمة في وجوب نفور المؤمنين إلى القتال جميعاً أو في هيئة جماعاتٍ وسرايا لأنّ ذلك أنكى في العدوّ.

٣- ماأَسْهَلَ إدراكَ كلِّ واحدٍ أنّ المائتين حاصلُ ضرب العشرين في ذاتها عَشْرَ مرّات، وذلك في القول:﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾

---

[١] سورة النّساء ٧١.

[٢] انظر –مثلاً–تفسير الطّبري ٥/١٠٤و١٠٥وتفسير ابن كثير ١/٥٢٤.

وأنّ الألفَ حاصلُ ضرب المائة في ذاتها عَشْرَ مرّات، وذلك في القول:﴿ وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا بأنّهم قومٌ لايفقهون﴾.

٤- ماأَسْهَلَ إدراكَ كلِّ واحدٍ أنّ المائتينِ حاصلُ ضرب المائة في ذاتها مرّتين اثنتين، وذلك في القول:﴿ فإن يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين﴾ وأنّ الألفين حاصلُ ضرب الألف في ذاته مرّتين اثنتين، وذلك في القول:﴿ وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفينِ بإذن الله﴾.

٥- من البيّن أنّ حاصل ضرب الرّقم في اثنين أَيْسَرُ تناولاً من حاصل ضرب الرّقم في عشرة، فما أسهل أن نعرف أنّ المائتينِ ضِعْفُ المائة والألفين ضِعْفُ الألف، بالقياس إلى أن نعرف أنّ المائتين حاصلُ ضرب العشرين عشر مرّات، والألفَ حاصلُ ضربِ المائةِ عشر مرّات. وحينما نتبيّن أنّ التّخفيف من الله تعالى عن المؤمنين كان بسبب ضعفهم وقلّةِ صبرهم بالقياس إلى المؤمنين السّابقين الأكثرِ صبرا. فهل في الإمكان القولُ إنّ اختلافَ درجتي السّهولة في حقّ العمليّتين الحسابيّتين في الآيتين الكريمتين يتمشّى معه اختلاف درجتي الصّبر في حقّ الفئتين من المؤمنين من حيثُ القلّة والكثرة؟ ربّما. فالله تعالى أعلم.

٦- يغلب على الآيتين الكريمتين ثنائيّة المعاني. ويصحّ أن توضَّحَ هذه الثّنائيّة على النّحو التّالي.

أ- إنّ ربّ المصطفى ﷺ يأمر حبيبه ﷺ بأن يحرّض المؤمنين. على ماذا؟ على القتال. قال تعالى:﴿ ياأيّها النّبيّ حرّض المؤمنين على القتال﴾ ويصحّ أن يقال إنّ ثمّةَ نداءً وأمراً بالتحريض على القتال.

ب- المؤمنون العشرون الصّابرون يغلبون المائتين من الكافرين. قال تعالى﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾.

ج- المؤمنون المائة الصّابرون يغلبون ألفاً من الكافرين. قال تعالى:﴿ وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً﴾.

د- الكافرون قومٌ لايفقهون. قال تعالى:﴿ وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا بأنّهم قومٌ لايفقهون﴾.

هـ - خفّف الله تعالى عن المؤمنين وعلم أنّ فيهم ضعفاً. قال تعالى:﴿ الآن خفّف عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفا﴾.

و- المائة الصّابرة تغلب المائتين. قال تعالى﴿ فإن يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين﴾.

ز- الألف الصّابر يغلب الألفين. قال تعالى :﴿ وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين ﴾.

ح- النّصر بإذن الله تعالى. والله تعالى مع الصّابرين. قال تعالى:﴿ وإن يكن منكم ألفٌ يغلبوا ألفين بإذن الله. والله مع الصّابرين﴾.

٧- عرفنا أنّ الرّقمين، واحداً وعشرةً، مضمرانِ حينما ابتدأ الحديث بالعشرينَ المؤمنين الصّابرين، بقصد التّنبيه إلى وجوب أن ينفر المؤمنون جماعاتٍ أو جميعاً. وحينما نجمع في نسقٍ بين الأرقام المضمرة والظّاهرة، نتبيّن أنّها يتمّ فيها التّحوّل المطّرد من الآحاد إلى العشرات إلى المئات إلى الألوف. ولايخفى أنّ هذا التّحوّل المطّرد مريحٌ للذّهن في تحوّله من رقمٍ إلى آخر، ومن مرحلةٍ إلى أخرى. إنّ الأرقام المذكورة بعد حذف المكرّر هي ٢٠،٢٠٠،١٠٠،١٠٠٠،٢٠٠٠ وحينما نتعامل في التّحوّل المطّرد مع الأعداد مكتوبةً بالأرقام نتبيّن أنّ التّحوّل في الآية الكريمة الأولى يتمّ بإضافة صفر واحدٍ فقط إلى اليمين. إنّ الـ ٢٠ بإضافة الصّفر تكون ٢٠٠. وإنّ الـ ١٠٠ بإضافة الصّفر تكون ١٠٠٠ بل إنّ الرّقمين اللّذين قلنا إنّهما مضمران تتحقّق فيهما هذه الصّفة. إن الّرقم ١ بإضافة الصّفر يكون ١٠. كما نتبيّن أنّ التّحوّل في الآية الكريمة الأخرى يتمّ بتحويل الرّقم ١ إلى ٢ إنّ الـ ١٠٠ تتحوّل إلى ٢٠٠ وإنّ الـ ١٠٠٠ يتحوّل إلى ٢٠٠٠.

ما أسهل إضافةَ الصّفر، ومأسهل تحويلَ الواحدِ إلى اثنين.

٨- إنّ من يقرأ الآيتين الكريمتين يدرك المعنى كاملاً وقد لايَفْطُنُ إلى أنّ في الكلام حذفاً كثيراً بحيث إنّ المعنى الكامل يُعَبَّرُ عنه بالقليل من الألفاظ. وإنّ الألفاظ المحذوفة في النّصّ القرآنيّ يدلّ عليها في العادة الألفاظُ المذكورةُ في المعنى المقابل. إنّ هذا القول مثلاً:﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ يصحّ أن يكون في الأصل: إن يكن منكم أيّها المؤمنون عشرون صابرون يغلبوا بإذن الله تعالى مائتين من الّذين كفروا غيرِ الصّابرين بسبب أنّهم قومٌ لايفقهون. وهكذا.

٩- بما أنّ الصّبر بعون الله تعالى هو العمود الفِقَرِيّ لكلّ شروط النّصر بإذن الله تعالى فما أَجْمَلَ ذِكْرَ الصّبر وحَذْفَه في الآيتين الكريمتين. إنّ العمليّتين الحسابيّتين في الآيتين الكريمتين تأتيان في ستّ جزئيّاتٍ كريماتٍ يأتي الصّبرُ في ثلاثٍ منها.

لقد ذُكِرَ الصّبر وحُذِف في هاتين الجزئيّتين الكريمتين:﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين. وإن يكن منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا بأنّهم قومٌ لايفقهون﴾.

وذُكِرَ الصّبر وحُذف في هاتين الجزئيّتين الكريمتين:﴿ فإن يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين. وإن يكن منكم ألْفٌ يغلبوا ألفين بإذن الله﴾ .

وإذا كان الصّبر قد ذُكِر في الجزئيّة الكريمة السّادسة:﴿ والله مع الصّابرين﴾ فإنّه لايذكر في الجزئيّة الكريمة الثّالثة:﴿ الآن خفّف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفا﴾.

٤- بناءُ المعاني حبّةً حبّةً ونقضُها حبّةً حبّةً

تحدّثت الآية الكريمة الثّامنة والأربعون عن كذبِ اللّعين ووعودِ الشّيطان الرّجيم المعسولةِ للمشركين، وكرِّ اللّعين عليها ساعَةَ الجدِّ بالنّقض بعد الإبرام الواحِدِ تِلْوَ الآخر، والأقربِ فالأقربِ. قال عزّ من قائل :﴿ وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من النّاس وإنّي جارٌ لكم. فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريءٌ منكم إنّي أرى مالاترون إنّي أخاف الله. والله شديد العقاب ﴾ ونستطيع أن نتبيّن أنّ الآية الكريمة تتألّف من ثلاثة أقسام. القسمُ الأوّل ويشتمل على أكاذيب اللّعين، وهي ثلاث أُكذوبات، وإلى ذلك أشار قولُ الحقّ جلّ وعلا :﴿ وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من النّاس وإنّي جارٌ لكم ﴾ والقسمُ الثّاني ويشتمل على نقض اللّعين تلك الأُكذوبات الثّلاث، وإلى ذلك أشار قولُ الحقّ جلّ وعلا : ﴿ فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريءٌ منكم إنّي أرى مالاترون ﴾ والقسمُ الثّالث ويتألّف من شقّين اثنين يتعلّقان بالذّات العليّة. وأوّل الشّقّين امتدادٌ لما جاء في الآية الكريمة على لسان اللّعين. وبما أنّه يتعلّق بالذّات العليّة فكأنّ اللّعين يَصْدُقُ في هذا القول الّذي جرى على لسانه. قال عزّ من قائل :﴿ إنّي أخاف الله ﴾ وآخر الشّقّين في هيئة التّعقيب أو التّذييل، وهو في الحقيقة مترتّبٌ على الشّقّ الأوّل ومبنيٌّ عليه، كما سيتضح بإذن الله تعالى مستقبلاً على جهة التّفصيل. قال عزّ من قائل :﴿ والله شديد العقاب ﴾.

ونودّ ابتداءً أن نتبيّن معنى الآية الكريمة في ضوء السّياق الّذي جاءت فيه. إنّ القول في صدر الآية الكريمة :﴿ وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم ﴾ معطوفٌ على شيءٍ قبله ومتعلِّقٌ بشيءٍ آخر قبله كذلك. إنّ القول :﴿ وإذ ﴾ معطوفٌ على القول في الآية

الكريمة الرّابعة والأربعين. قال عزّ من قائل :﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويُقَلّلُكُمْ في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. وإلى الله تُرْجَع الأمور ﴾ وإنّ القول هنا :﴿ وإذ ﴾ معطوفٌ بدوره على :﴿ إذ ﴾في الآية الكريمة الثّالثة والأربعين السّابقة.

قال تعالى ﴿ إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكنّ الله سلّم. إنّه عليمٌ بذات الصّدور ﴾ .

أمّا متعلِّق : ﴿ إذ ﴾ في المواضع الثّلاثة فإنّه التّذييل في الآية الكريمة الثّانية والأربعين السّابقة.قال تعالى :﴿ وإنّ الله لسميعٌ عليم ﴾ وإنّ المعنى– والله تعالى أعلم – وإنّ الله سبحانه وتعالى لسميعٌ لكلّ قول عليمٌ بِكلّ نيّةٍ وفعل: ﴿ إذ يريكهم الله في منامك قليلاً﴾ ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً﴾ ﴿ وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم﴾.

ومعنى الآية الكريمة الثّامنة والأربعين الّتي نحن بصددها – والله تعالى أعلم – على النّحو التّالي : وإنّ الله لسميعٌ عليم في تلك الأحوال وإذ زيّن الشّيطان الرّجيم لمشركي مكّةَ المكرّمةِ أعمالهَهُمُ السّيّئةَ ومنها حربُهُمْ للمصطفى ﷺ والمؤمنين، وقال لاغالب لكم اليوم من بني آدم، وإنّه، أي الشّيطان الرّجيم، جارٌ لهم، وإنّ مشركي مكّة في جوار الّلعين فلن تستطيع كنانة، أعداءُ قريشٍ في تلك النّاحية، أن تحاربهم أو أن تنصر محمّداً ﷺ. عن عروة بن الزّبير قال: لمّا أجمعت قريش المسير ذكرت الّذي بينها وبين بني بكر، يعني من الحرب، فكاد ذلك أن يثبّطهم، فتبدّى لهم إبليس في صورة سُراقَةَ بنِ جُعْشُم المُدْلجيّ وكان من أشراف بني كنانة فقال: أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة بشيءٍ تكرهونه فخرجوا سراعاً[1] فلمّا تراءت الفئتان والتقى الجمعان وصارت كلّ جماعةٍ منهما بحيث تتمكّن من رؤية الأخرى نكص الّلعين على عقبيه

[1] تفسير الطّبري١٠/١٤.

ورجع القَهْقَري على قفاه هارباً[٢] ومدبرا[٣] والعَقِب: موخَّر الرِّجل[٤] وقال للمشركين: إنّي بريءٌ منكم ومن حربكم الله تعالى ورسولَه ﷺ والمؤمنين، إنّي أرى من الملائكة مالاترون، إنّي أخاف الله تعالى، والله سبحانه وتعالى شديد العقاب. رُوِي أنّ رسول الله ﷺ قال: مارُؤي إبليس يوماً هو فيه أصغرُ ولا أحقرُ ولا أدحرُ ولا أغيظُ من يوم عرفة، وذلك ممّا يرى من تنزيلِ الرّحمةِ والعفوِ عن الّذنوب، إلاّ مارأي يوم بدر. قالوا يارسول الله، وما رأى يوم بدر؟ قال: أَما إنّه رأى جبريل يزع (يقود) الملائكة[١]. وعن بعض بني ساعدة قال: سمعت أبا أُسَيْد مالكَ بنَ ربيعة بعد ماكُفَّ بَصَرُه يقول: لو كنت معكم الآن ببدرٍ ومعي بصري لأخبرتكم بالشِّعب الّذي خَرَجَتْ منه الملائكة، لا أشكّ ولا أتمارى [٢].

وبشأن القِسْم الأوّل :﴿ وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من النّاس وإنّي جارٌ لكم ﴾ يصحّ أن نتبيّن مايلي.

أ- إنّ ثمّة تحوّلاً من التّزيين للنّفس القبيحَ أو التّسويل، وتصويرِهِ بصورة الحَسَن، إلى القول، إلى الفعل. وبذلك يكون ثمّة تطوّرٌ في المعاني، وتحوّل مستمرٌّ إلى الحال الأقوى. إنّ تزيين الشّيطان الرّجيم للمشركين أعمالَهُمْ من الكفرِ والصّدِّ عن سبيل الله تعالى وقتالِ المسلمين ضربٌ من ضروب الوسوسةِ والهمسِ الخَفيّ. وإنّ القول هنا عن اللّعين :﴿ وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم﴾ يذكّرنا بمثل قول الحقّ جلّ وعلا في سورة فاطر[٣] :﴿ أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حَسَناً فإنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء فلاتذهب نفسك عليهم حَسَرات. إنّ الله عليمٌ بما يصنعون﴾ وبعد

---

[٢] تفسير الطّبري١٠/١٥.

[٣] تفسير الطّبري١٠/١٥.

[٤] مفردات الرّاغب الأصفهاني :"عقب"٣٤٠.

[١] تفسير الطّبري١٠/١٥.

[٢] تفسير ابن كثير٢/٣١٨.

[٣] الآية٨.

تزيين الشّيطان الرّجيم للنّفس عَمَلَ القبيح أو الوسوسة، يأتي القول على لسان اللّعين الّذي أشار إليه قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿ وقال لاغالب لكم اليوم من النّاس﴾ ويقصد اللّعين أنّ المشركين لن يغلبهم في يوم بدرٍ أحدٌ من بني آدم وفي مقدّمتهم المسلمون بطبيعة الحال، وكَذَبَ اللَعين. ثمّ يأتي فعل اللّعين الّذي أشار إليه قولُ الحقّ جلّ وعلا:﴿ وإنّي جارٌ لكم ﴾ عن ابن عبّاس قال: جاء إبليس يوم بدرٍ في جندٍ من الشّياطين معه رايته في صورة رجلٍ من بني مُدْلج في صورة سُراقَةَ بنِ مالك بنِ جُعْشُم فقال الشّيطان للمشركين :﴿ لاغالب لكم اليوم من النّاس وإنّي جارٌ لكم﴾ [1] وعن ابن عبّاس قال: لمّا كان يوم بدرٍ سار إبليس برايتِهِ وجنودِه مع المشركين وأَلْقَى في قلوب المشركين أنّ أحداً لن يغلبكم وأنّي جارٌ لكم . فلمّا التَقَوْا ونظر الشّيطانُ إلى أمداد الملائكة نكص على عقبيه [2].

ب- بشأن هذه الوعود الثّلاثة الكاذبة من اللّعين من الواضح تحوّلُ اللّعين المطّرد من الكِذْبة الكبيرة إلى الكِذْبة الأكبر إلى الكِذْبة الكبرى.

ج- من الواضح ترتّبُ الكِذْبةِ الثّانية على الأولى، والثّالثةِ على الثّانية.

د- يقترن بالأكذوبة الثّالثة وَحْدَها العمل. فهاهوذا اللّعين يجير المشركين بنفسه وبجندِه الّذين ترفرف عليهم الرّايةُ الإبليسيّة. وإنّ اقتران العمل بالأكذوبة الثّالثة وحدها سوف نتبيّن دوره البليغ حينما نتحوّلُ إلى تحلّل اللّعين من وعوده ونقضِ عهوده ونتبيّنُ أنّ هذه الأكذوبةَ العمليَّةَ نقضها اللّعينُ بالعمل. فلْنَتَحَوّل إلى القسم الثّاني من الآية الكريمة الّذي نتبيّن منه أنّ اللّعين قد نكص على عقبيه حِسّاً ومعنىً معاً. وهذا هو القسم الثّاني. قال عزّ من قائل :﴿ فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريءٌ منكم إنّي أرى مالا ترون﴾.

وبشأن هذا القِسْم الثّاني يصحّ أن نتبيّن مايلي.

---

[1] تفسير الطّبري١٠/١٤.

[2] تفسير الطّبري١٠/١٤.

أ- إذا كان لِلّعين ثلاثُ أكذوباتٍ في القِسْم الأوّل فقد نقض اللّعين في القسم الثّاني الأكذوبات الثّلاث، كلّاً على حِدَة.

ب- حينما كرّ اللّعين على نقض أكذوباته الثّلاث بدأ بالأقرب فالأقرب، وبذلك نُقِضتِ الأكذوبةُ الثّالثةُ والأخيرةُ أوّلاً، ثمّ الثّانيةُ ثمّ الأُولى. لقد نَقَضَ القولُ الأَوَّلُ في القسم الثّاني: ﴿ نكص على عقبيه ﴾ أكذوبةَ اللّعين الثّالثةَ في القول في القسم الأوّل على لسان اللّعين :﴿ وإنّي جارٌ لكم ﴾ وهاهوذا اللّعين الّذي أتى إلى مشركي مكّة بجنده وقال لهم في ميدان المعركة إنّه جارٌ لهم ينكُصُ على عقبيه ويَرْجِع القهقري بمؤخَّرِ قدميه. وإنّ مجيء العقبين في صيغة التّثنية دليلٌ على أنّ اللّعين فرّ من ميدان المعركة لايَلْوى على أحدٍ فهاهوذا يُتْبع الخطوة الأولى إلى العَقِب والوراء ثانيةً فثالثة وهكذا دليلاً على تصميمه على الفِرار والهرب. وهكذا ينقض اللّعين أكذوبته الثّالثة العمليّة بالفِرار العمليّ. واللّطيف في الأمر أنّ أكذوبة اللّعين العمليّة إذا كانت قد نُقِضَتْ بالعمل فإنّ الأكذوبتين الأخريين القوليّتين قد نقضهما اللّعين بالقول. لقد نقض القولُ الثّاني في القسم الثّاني :﴿ وقال إنّي بريءٌ منكم ﴾ أكذوبةَ اللّعين الثّانية في القول في القسم الأوّل على لسان اللّعين :﴿ وقال لاغالب لكم اليوم من النّاس ﴾ وقد نقض القولُ الثّالثُ في القسم الثّاني :﴿ إنّي أرى مالاترون ﴾ أكذوبةَ اللّعين الأولى في القول في القسم الأوّل عن إبليس اللّعين:﴿ وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم ﴾ وتزيين الشّيطان الأعمال السّيّئة للمشركين عن طريق وسوستِهِ وهَمْسِهِ الخفيّ ومايلقيه في النّفوس من هواجسه.

ج- كما تبيّنّا بشأن القسم الأوّل ترتّبَ كلِّ معنًى على سابقه، وبناءَ كلِّ أكذوبةٍ لاحقةٍ على السّابقة، نتبيّن بشأن القسم الثّاني ترتّبَ كلّ معنًى على سابقهِ، لأنّ عمليّة الهدم للأكذوبات الثّلاث ابتدأت من حيث انتهى البناء للأكذوبات الثّلاث. والحقيقة أنّ عمليّة الهدم

المعنويّ هنا للأكذوبات الثّلاث سارت على غرار الهدم الحسّيّ للمباني. لقد جرت العادة بأن تبدأ عمليّة الهدم من حيث انتهت المباني وهاهي ذي عمليّة الهدم للأكذوبات الثّلاث تبدأ من حيث انتهت المعاني. والحقيقة كذلك أنّ اللّعين كما نكص على عقبيهِ حِسّاً، نكص على عقبيه معنًى، فهاهوذا اللّعين يهدم المعاني الّتي بَنَى، الواحدَ تلو الآخر.

د- إذا كنّا تبيّنّا بشأن الأكذوبات الثّلاث التّحوّلَ من الهمس الخفيّ وما في حكمه، إلى القولِ الجليّ، إلى الفعلِ البذيّ، وفي ذلك التّحوّلُ المطّرد إلى الحالة الأقوى دائماً ، فإنّ نقض هذه الأكذوبات الثّلاث على التّوالي ابتداءً من آخرها دليلٌ على التّحوّل المطّرد من الحالة إلى الحالة الّتي تليها المترتّبة عليها. وكما كان بناء حبّات المعاني في القسم الأوّل منطقيّاً كان بناء حبّات المعاني في القسم الثّاني منطقيّاً كذلك. وهذا واضح. إنّ النّكوص على العقبين تلاه براءة اللّعين من الغاوين، جرياً على عادته في التّبرّؤ من كلّ من أطاعه وعصى الله تعالى وصَدَّقَ اللّعين في وعوده الكاذبة ولم يمتثل لنهي الله تعالى عن طاعة اللّعين. وقد تلا هذا وذاك تبريرُ اللّعين لنكوصِهِ وخِذْلانِهِ أولياءَه المشركين وذلك في القول :﴿ إنّي أرى مالاترون ﴾ والمراد أنّه يرى الملائكة. ويلاحظ مجيء جملة :﴿ أرى ﴾ في صيغة الزّمن المضارع الّذي يفيد الاستمرار ويدلّ على أن اللّعين حينما قال ذلك كان يرى الملائكة الأطهار.

هـ - تمّ في القسم الأوّل بناءُ أكذوبات اللّعين الثّلاث، وتمّ في القسم الثّاني هدمُ اللّعين أكذوباتِه الثّلاث، وبذلك أكّدت عمليّة الهدم أو النّقض زيفَ كلِّ وعود اللّعين العدوِّ اللّدودِ للإنسان.

فإذا تحوّلنا إلى القسم الثّالث والأخير بشقّيه :﴿ إنّي أخاف الله. واللهُ شديد العقاب ﴾ تبيّنّا أنّه متعلّقٌ بالذّات العليّة. ويصحّ أن يلاحظ على هذين الشّقّين مايلي.

أ- بما أنّ هذا القول :﴿ إنّي أخاف الله ﴾ هو القولُ الوحيدُ المتعلّق بالذّات العليّة على لسان اللّعين فإنّا نميل إلى الاعتقاد بأنّ اللّعين قد صدق في هذا القول وحده، واللّعين هو الكذوب.

ب- بما أنّ الشّقين يتعلّقان بالذّات العليّة فما أَسْهَلَ التّحوّلَ من الشّقّ الأوّل إلى الشّقّ الآخر، وما أقرب المسافَةَ بينهما، خاصّةً وقد تبيّن أنّ القسمين السّابقين يتعلّقان بالمخلوقات.

ج- هذا القسم بشقّيه يسير على غرار ظاهرةٍ بارزةٍ في هذا القسم من السّورة الكريمة[1] وتتلخّص هذه الظّاهرة في ارتباط آخر حبّات معاني الآية الكريمة بالتّذييل، وفي ذلك دليلٌ على أنّ آخر حبّات المعاني في الآية الكريمة أقوى الحبّات معنًى . إنّ هذه الظّاهرة تَتَبَيَّنُ في الآيات الكريمات، الخامسةِ والأربعين، والسّادسةِ والأربعين، والسّابعةِ والأربعين، علماً بأنّنا نتأمّل الآية الكريمة الثّامنةَ والأربعين. وكأنّ هذه الظّاهرة تتجلّى في أربع آيات كريمات متتاليات. وهذه هي الآيات الأربع الكريمات. قال تعالى[2] :﴿ يأيّها الّذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا. إنّ الله مع الصّابرين. ولاتكونوا كالّذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء النّاس ويصدّون عن سبيل الله . والله بما يعملون محيط. وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من النّاس وإنّي جارٌ لكم. فلمّا تراءت الفئتان

---

[1] هو القسم السّابع في دراسة الآيات الكريمات(٤٥-٤٩)بعنوان: بعض شروط النّصر ومنها التّوكّل على الله تعالى.

[2] سورة الأنفال٤٥-٤٨.

نكص على عقبيه وقال إنّي بريءٌ منكم إنّي أرى مالا ترون إنّي أخاف الله. والله شديد العقاب ﴾.

إنّ من شروط النّصر، وهي خمسةٌ أو سبعةٌ في السّورة الكريمة، الثّباتَ وذكر اللهِ تعالى كثيراً. وإنّ ذكر الله تعالى كثيراً أهمُّ الشّرطين، وقد ارتبط به التّذييل وذلك في القول :﴿ واذكروا الله كثيراً لعلّكم تفلحون ﴾.

وإنّ من شروط النّصر طاعةَ الله تعالى، وطاعةَ رسوله ﷺ ، وعدمَ التنازع، والصَّبر. وإنّ الصَّبرَ امتثالاً لأمر الله تعالى العمود الفِقَرِيّ للشّروط كلّها، فهو إذن آخر الشّروط الخمسة وأهمّها، وقد ارتبط به التّذييل وذلك في القول:﴿ واصبروا إنّ الله مع الصّابرين﴾

وإنّ صدّ المشركين عن سبيل الله تعالى أهمُّ من سوء النّيّة أو القصد اللّذين عُبّر عنهما بالبطرِ والمراءاة. وقد ارتبط بالأسوأ أو الأهمّ التّذييلُ وذلك في القول:﴿ ويصدّون عن سبيل الله. والله بما يعملون محيط ﴾ .

لقد نصّت الآيتان الكريمتان الخامسة والأربعون والسّادسة والأربعون على شروط النّصر بإذن الله تعالى الخمسة. وأمكن استنتاج شرطين آخرين وهما صدق النّيّة وصلاح العمل بمقياس الإسلام من الآية الكريمة السّابعة والأربعين الّتي نهت المؤمنين أن يكونوا مثل كفّار مكّة الّذين خرجوا من مكّة بطراً ورئاء النّاس فنيّتهم فاسدة، والّذين يصدّون عن سبيل الله تعالى فعملهم غير صالح بل طالحٌ بمقياس الإسلام. وبهذا

يضاف شرطا صدقِ النّيّة وصلاحِ العمل بمقياس الإسلام إلى الشّروط الخمسة السّابقة ،وبذلك تكون شروطُ النّصر بإذن الله تعالى سبعة. والله تعالى أعلم.

الخاتمة

في الصّفحات السّابقة تحت عنوان :" لمحاتٌ في إعجاز سورة الأنفال" قمنا باستلال هذه الدّراسة من كتابنا : تأمّلاتٌ في سورة الأنفال. وهذه الدّراسة تألّفت من شقّين اثنين، الأوّل تحت عنوان : مسائل متعلّقة بسورة الأنفال . والثّاني تحت عنوان: من مظاهر إعجاز سورة الأنفال. أمّا عناصره فإنّها.

١- اختلاف التّعبير عن النّصر على الفور، عن التّعبير عنه على التّراخي.
٢- الحكمة من الأمر بضرب الكافرين فوقَ الأعناق وكلَّ بنان.
٣- عمليّاتٌ حسابيّةٌ تريح الذّهن وتبهج النّفس.
٤- بناءُ المعاني حبةً حبّة، ونقضُها حبّةً حبّة.

والله تعالى أسأل أن يتقبّل هذا العمل، وينفع به، إنّه عزّ وجلّ جوادٌ كريم. وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأسلت (أبو قيس صيفيّ بن الأسلت الأوسي الجاهلي) ديوانه. دراسة جمع تحقيق د.حسن محمّد باجودة. القاهرة ١٩٧٣م

ابن حَجَر (الحافظ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني) فتح الباري بشرح صحيح البخاري . عبد العزيز بن عبد الله بن باز،محمّد فؤاد عبد الباقي،محبّ الدين الخطيب . المكتبة السلّفيّة .

ابن عطيّة (أبو محمّد عبدالحقّ بن عطية الأندلسيّ)المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق وتعليق: الرّحالي الفاروقي، عبدالله بن إبراهيم الأنصاري. السّيّد عبدالعال السّيّد إبراهيم، محمّد الشّافعي صادق

العناني. الطّبعة الأولى. قطر ١٣٩٨هـ ١٩٧٧م.

ابن كثير (عماد الدّين أبو الفدا إسماعيل بن كثير) تفسير القرآن العظيم.دار إحياء التّراث العربي. بيروت ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

ابن هشام (أبو محمّد عبد الملك) السّيرة النّبويّة،تحقيق مصطفى السّقّا، إبراهيم الأبياري،عبد الحفيظ شلبي. تصوير دار إحياء التّراث العربي .بيروت لبنان ١٩٨٥م.

البخاري (أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم)كتاب الصّحيح. كتاب الشّعب ١٣٧٨هـ.

الرّاغب الأصفهاني (أبوالقاسم الحسين بن محمّد) المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمّد سيّد الكيلاني. دار المعرفة. بيروت . لبنان. بدون تاريخ.

السّقّا (مصطفى) مختار الشّعر الجاهلي. الجزء الأوّل. مصطفى البابلي الحلبي. القاهرة ١٣٦٨هـ ١٩٤٨م.

السّيوطي (جلال الدّين عبدالرّحمن) الإتقان في علوم القرآن. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٧٤م.

الطّبري (أبو جعفر محمّد بن جرير) جامع البيان في تفسير القرآن ، الطّبعة الأولى ، بولاق ، ١٣٢٩هـ .

مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجّاج) الصّحيح. شرح الإمام النّووي. القاهرة ١٣٤٩هـ.

النّيسابوري (الحسن بن محمّد بن حسين) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. مطبوع بهامش تفسير الطبري. بولاق.١٣٢٩هـ .

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدّمة	٣
مسائل متعلّقة بسورة الأنفال	٤
من مظاهر إعجاز سورة الأنفال	١١
١- اختلاف التّعبير عن النّصر على الفور، عن التّعبير عنه على التّراخي.	١١
٢- الحكمة من الأمر بضرب الكافرين فوقَ الأعناقِ	١٥

وكلَّ بنان.	
٣- عمليّاتٌ حسابيّةٌ تُريح الذّهن وتُبْهِجُ النَّفس.	١٩
٤- بناءُ المعاني حبّةً حبّةً، ونقضُها حبّةً حبّة.	٢٥
الخاتمة	٣٣
فهرست المصادر والمراجع	٣٤
فهرست الموضوعات	٣٦